عناصر المحاضرة : [مفهوم الغزل (لغة– اصطلاحا)، مفهوم الغزل العذري (العفيف)، الخصائص الفنية للغزل العذري، نماذج من شعر الغزل العذري، مفهوم الغزل العمري (الماجن)، الخصائص الفنية للغزل العمري، نماذج من شعر الغزل العمري]

تمهيد :

إن المتأمل للغزل في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام يجده فنًّا ضعيفا لم تقوَ شوكته، ولم تهيئ له الظروف أن ينفرد بصدارة المشهد الشعري آنذاك، ولعل السبب في العصر الجاهلي، يرجع – رغم أنَّ المرأة إحدى أمور ثلاثة غطَّت على الفراغ الرهيب الذي يعيشه الإنسان الجاهلي مع الخمرة والصيد – إلى أنه كان كثير التنقل بين الأغراض الشعرية، وإن كانت المرأة أحدها، بكاها وتذكر أيامه معها، وأحسن تشبيهها ووصفها، « لكنه لم يحسن تصوير عواطفه، وما يشعر به من صبابة وألم، أو من أمل وارتياح، فاكتفى بذكر الديار الدارسة، تلعب بها الرياح والأمطار، وتسرح بها الأرآم والوحوش؛ واكتفى بوصف الفراق من تحمل الأحبة، إلى الوداع، إلى سير الأظعان في الأودية والجبال؛ واكتفى بوصف أعضاء المرأة والتشبيب بمحاسنها، فالشاعر الجاهلي ماديٌّ في تصوره أكثر منه روحانيا، ولذلك لم يحسن التعبير عن تأثراته النفسية » [1]، ولعلَّ امرأ القيس يجسد هذه الرؤية للمرأة أحسن تجسيد في معلقته، ولا يعني هذا غياب الشعراء الذين عشقوا المرأة عشقا عفيفا في الجاهلية غيابا تاما، فقد حفظ لنا التراث الأدبي نماذج راقية تعدُّ النواة الحقيقة للغزل العذري، منها قصص مالك بن الصمصامة الذي أحبَّ جنوب بنت محصن الجعدي، ومسافر بن أبي عمرو الذي أحب هندًا بنت عُتبة، على أن قصة عنترة وابنة عمه عبلة أشهر من أن تذكر، أما في عصر صدر الإسلام، فيرجع إلى أن المسلمين كان يحكمهم الشرع المطهر، فلم يكن بوسعهم مخالفته بذكر النساء والتغزل بهنَّ، وهو الذي قطع دابر الأسباب، التي من شأنها أن تهيج الشهوات، وتنشر الرذيلة بين الناس، وهذا لا يعني أن الإسلام حرَّم الغزل ونهى عنه، ولكنه نظَّمه وجعله في أطر صحيحة بعيدة عن الشبهات، لأن الحب هو من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولهذا قال عنه بعض الحكماء : « الْعِشْقُ يُرَوِّضُ النَّفْسَ، وَيُهَذِّبُ الْأَخْلَاقَ، وَإِظْهَارُهُ طَبِيعِيٌّ، وَإِضْمَارُهُ تَكْلِيفِيٌّ »[2] ، وقال بعضهم : « مَنْ لَمْ يُهَيِّجْ نَفْسَهُ بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ، وَالْوَجْهِ الْبَهِيِّ، فَهُوَ فَاسِدُ الْمِزَاجِ، يَحْتَاجُ إِلَى عِلَاجٍ »[3].

وخير دليل اعتبار الشرع عاطفة الحب، بل حفظها والدفاع عنها قصيدة كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي احتوت على كثير من المحطات الغزلية بدءا من المقدمة، إذن فالإسلام هذَّب شعر الغزل، فكان أكثر

---

[1] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 283.

[2] – ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة، المغرب، ط01، 1997، ص 219.

[3] – الصفحة نفسها.

تعففاً لكن بالرغم من هذا ظلت طائفة من الشعراء – الذين ما زالت بقايا أدران الجاهلية فيهم – تعاقر الخمر في أشعارها وتشبب بالنساء وتتغزل بهن غزلاً فاحشا كأبي محجن الثقفي (بطل من أبطال موقعة القادسية) وغيره، وما إن جاء العصر الأموي وتغيرت ملامح المجتمع العربي بفعل الفتوحات الإسلامية، والتمازج بين العرب وغيرهم من الأجناس الأخرى، تباينت الأذواق وتبدلت الأمزجة، ولعلنا نتساءل في هذا الصدد عن هذا الغرض الشعري الرابط بين الرجل والمرأة، ما مفهومه ؟ وما هي أنواعه، وما هي الخصائص الفنية لكل نوع منه؟ ومن هم أعلامه ؟

مفهوم الغزل :

لغة :

إنَّ الاتفاق واقع في المعاجم العربية أنَّ الغزل هو : « حديثُ الفتيان والفَتيات، يُقَال: غَازَلَهَا مُغَازَلَةً والتغزُّلُ: تكلُّفُ ذَلك » [1] وتقول : « غَازَلْتُها وغَازَلَتْني، وتَغَزَّلَ أَي تَكَلَّفَ الغَزَلَ، وَقَدْ غَزِلَ غَزْلًا وَقَدْ تَغَزَّلَ بِهَا وغَازَلَها وغَازَلَتْه مُغازَلة، وَرَجُلٌ غَزِلٌ: مُتَغَزِّلٌ بِالنِّساءِ عَلى النَّسبِ أَي ذُو غزلٍ، وفِي الْمثلِ: هو أَغْزلُ مِن امرِئِ الْقيسِ » [2]

اصطلاحا :

جاء في المعجم المفصل في الأدب أن الغزل « في كتابات النقاد والعلماء شبيه بالنسيب والتشبيب؛ تقع اللفظة عندهم محل أختها، ويستبدل بها اللغوي مرادفتَها حين يريد، فهي تغني اللغة، وتصور اختلافَ القبائل في تسمية هذا اللون من القول، يطلقونها على من وصف المرأة، او تحدث عنها، أو تحدث إليها، أو لَهَا بها » [3]

والملاحظ آن فن الغزل في معناه الاصطلاحي – في العصر الأموي – قد كان بعيدا عن فضاءات السياسة في الشام والعراق، فبقي محصورا في شبه الجزيرة العربية، فحتى بعض الغزل الذي كان عند شعراء البلاط الأموي كجرير والأخطل والفرزدق، كان غزلا تقليديا، يستفتحون به أغراضهم الرئيسية مثل المدح والهجاء، فقلَّ فيهم من نظم قصائد مستقلة في المرأة.

والغزل –كما هو معروف – مرتبط بعاطفة الحب، إذ لا يمكن أن نتصور غزلا لا يكون موضوعه الأساس هو الحب، مهما كان نوعه حسيا أو معنويا، والحب كما عرفه صادق جلال العظم هو « حالة عاطفية مركبة تشكل كيان الإنسان بكامله جسدا وعقلا وروحا، وتمتزج فيه عوامل عديدة، مثل اندفاع الشهوة والانفعال العاطفي والهوى والعطف والتجاوب والتعاطف والمودة والنزوع نحو التضحية في سبيل مصلحة المحبوب وهنائه وسعادته »[4]، وفيما يلي تجليات عاطفة الحب في وجهيه العفيف والماجن :

---

[1] – أبو منصور محمد بن الأزهري ، تهذيب اللغة، ج08، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 2001، ص 77. ينظر : أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج04، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 422.

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب ،ج11، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ ، ص 492.

[3] – محمد التونجي، ج02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1999، ص670.

[4] – في الحب والحب العذري، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط01، 1967، ص 12.

مفهوم الغزل العذري (العفيف) [1]:

لقد تكاثرت التعريفات، التي تناولت الغزل العذري، ولكنها متفقة على أنَّه لا يخرج عن كونه « ظاهرة روحية يتعلق العاشق بواسطته بمحبوبة واحدة، يرى فيها مثله الأعلى الذي يحقق له متعة الروح، ورضا النفس واستقرار العاطفة » [2] وقد اشتهر بهذا النوع الشعراء العذريون، الذين كانت مواطنهم في نجد والحجاز، ثم أصبح فنًا ينطبق على كل من نهج نهجهم وذهب مذهبهم، وعبَّر عن أحاسيسه وعاطفته تعبير الشعراء العذريين.

إذن فالغزل العذري هو غزل بدويٌّ، تغلب عليه العفة والطهارة، لأنه صادر عن فطرة العربي، البعيدة عن صخب حواضر العراق والشام، فقد كان لأجل ذلك « يشكل أعلى تجليات المطابقة بين الشعر والطهرية الدينية الأخلاقية في المجتمع البدوي » [3]، وقد كان أصحابه في وضع اجتماعي أقرب ما يكون إلى الكفاف والقناعة؛ إذْ لم يحسنوا التكيف السريع مع مستجدات الأحداث، ولم يستطيعوا البقاء على حياة الجاهلية الأولى التي كانوا يعيشونها قبيل الإسلام، وعندما انتقلت قوة القبائل وشوكتها إلى الأمصار وانتقل جلُّ شبابها مع الفاتحين، لم يبق في بادية الحجاز غير أولئك الذين لم يستطيعوا ترك بلادهم وأهلهم، ولعلَّ لبيئتهم الخصبة وحياتهم الهادئة ما « جعل حياتهم رغدة هانئة بالقياس إلى قبائل الصحراء، الذين كانوا يقاسون غير قليل من الشظف » [4] الأمر الذي هيأ لهم شيئا من الفراغ والاستقرار، وهذا ما يفسِّر، خلو شعرهم – تقريبا — من شعر الحماسة والفخر والهجاء والمدح والرثاء ووصف الرحلة، بل هو شعر الحب فقط.

وزيادة على هذا فقد تأثروا بالإسلام وطُبعت حياتهم الجديدة بشيء غير قليل من التغيُّر؛ فعبروا عنه بالزهد في الحياة وملذاتها، ووجدوا في الشعر تعويضا عن مطامح الدنيا التي لم يستطيعوا مواجهتها، كما وجدوا قبولاً لدى الناس لهذا الفن، عوَّضهم عمَّا فقدوه في واقعهم الاجتماعي، فالتفت الشاعر منهم « إلى نفسه يتفحصها ويتبين خفاياها، وأصبح يلدُّ له أن يعبَّر عما يحسُّ فيها من عاطفة وهوى، وحزن أو سرور، فلم يبق الغزل غرضا تابعا لغيره من الأغراض الشعرية، أو واسطة يستهلُّ بها الشاعر قصيدته للوصول إلى غايته؛ بل صار فنا مستقلا بذاته » [5] ولعل هذا الغزل لطهارته وعفته اشتهر أمره حتى عند الفقهاء والعلماء، كعبيد الله بن عتبة وعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي (الملقَّب بقِسِّ سلَّامة) وعروة بن أدينة القرشي، هذا الأخير الذي قال في أبيات له اشتهرت عند الناس [6]:

---

[1] – من أراد الاستزادة عن مفهوم الغزل العذري ونشأته يرجع إلى : محمد حسن عبد الله، الحب في التراث العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1980، ص263– 304، عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص71– 171، صادق جلال العظم، في الحب والحب العذري، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط01، 1967.

[2] – يوسف خليف، الحب المثالي عند العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1961، ص 10.

[3] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط01، 2009، ص390.

[4] – شوقي ضيف، الحب العذري عند العرب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط01، 1999، ص 19.

[5] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 283.

[6] – بهاء الدين محمد بن حسين، الكشكول، ج01، تح : محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998، ص 75.

إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فؤادَكَ مَلَّهَا	خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَىً لَهَا
فِيكَ الذي زَعَمْتَ بِهَا وَكِلاَكُمَا	أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيْمُ فَصَاغَهَا	بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
مَنَعَتْ تَحَيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي	مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وأَقَلَّهَا
فَدَنا وَقَالَ لَعَلَّهَا مَعْذُورَةٌ	فِي بَعْضِ رِقْبَتِهَا فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا
فَإِذا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ	شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَيَّ فَسَلَّهَا
وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبٌّ لَهَا	لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لأَقَلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا	يَوْماً وَقَدْ ضَحِيَتْ إِذَنْ لأَظَلَّهَا

ومن أشهر شعراء هذا الفن عروة بن حزام وجميل بثينة وكُثَيِّر عزة وقيس بن الملوح (مجنون ليلى) وقيس بن ذريح، ولعلَّ أشعرهم هو جميل بن معمر.

الخصائص الفنية للغزل العذري :

الرائي للغزل العذري يرى فيه جمال البداوة وسذاجتها، وصدق العاطفة ورقتها، وقوة العبارة وفخامتها، لأن كل هذا يصدر عن نفس تتكلم لغة الأرواح؛ لها من القناعة والعفة والوفاء ما يجعل الحب عندها تضحية لا تنتهي، وعشقا يودي بصاحبه إلى القبر، وفيما يلي أهم ما يتميز به الغزل العذري :

1/ الاقتصار في الحب على امرأة واحدة، يفنى الواحد في عشقها، لا ينتقل بالحب إلى غيرها، وإن أوصله حبه للموت، فهي داؤه ودواؤه، وهي عشقه الوحيد ومطلبه الأبدي، ولهذا كانوا ممن قتلهم الحب، وبسبب ذلك، ارتبط اسم كل شاعر بحبيبته، وصارا متلازمين، فنقول: عروة عفراء، وجميل بثينة، ومجنون ليلى، وكثير عزة، وقيس لبنى.

2/ تشيع فيه حرارة العاطفة التي تصور خلجات النفس ولواعج الحب ولهيب الهوى وفرحة اللقاء وآلام الفراق.

3/ وصف الحرمان واليأس، حيث يصف المرأة بأنها مُعرِضةٌ متمنِّعة قلَّما تستجيب له أو تسمع منه.

4/ احترام العلاقة بين العاشقين، والأخذ بالعفة والرضى بالحب الطاهر.

5/ الصدق، بحيث تغلب على الشاعر العذري روح الصدق، فهو يقنع مستمعيه بحرارة عاطفته وأمانة وصْفه لما يعبِّر عنه من شعور نحو محبوبته، فتظهر كلماته صافية لا يلوِّثها الخداع الاجتماعي والنفاق والمداراة التي قد تكون عند غيره من الشعراء.

6/ ولا يتخذ الغزل العذري مظهرًا واحدًا عند المحبين جميعًا، فهو هادئ عند بعضهم، ثائر عند آخرين.

7/ غياب المقدمات : بحيث يتجه الشاعر في قصيدته إلى الغرض الأصلي – مباشرة – دون المرور بالمقدمات أو الأغراض الأخرى التي يهتم بها الشعراء غير الغزليين.

8/ بساطة المعاني : فالشاعر لا يتعمق فيها ولا يُدقِّق في دلالاتها، وليست موطن اهتمامه وتعهده، ولا يحرص عليها أو يُجوِّدها، كلُ هَمه أن يعبِّر عن العاطفة التي تجيش بها نفسه، ولذا تتصف معاني العذريين بالفطرة والسذاجة والمباشرة والبعد عن التعقيد.

9/ سلاسة الألفاظ وسهولتها وقدرتها على التعبير عن العواطف، حيث يحشدها الشعراء في صورهم الشعرية، فتأتي موحية دالة، خاصة إذا جاءت مكررة، بحيث تشكل مجالا دلاليا مكتملا عن أحاسيس ومواجيد الشعراء.

ملاحظات :

* لقد كان لاشتراك الشعراء العذريين وتواطئهم على المعاني والألفاظ والأساليب، جعل شعرهم يختلط بعضه ببعض، فكان ما قاله قيس بن الملوح يضاف إلى ما قاله جميل بن معمر، وما قاله جميل ينسب إلى ما قاله كثيِّر، وهكذا، فمثلا الأبيات التالية، تنسب مرة لجميل بن معمر، ومرات لكثير عزة ومرة لابن الدمنية :

وَإِنِّي لأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بالَّذي	لَوَ أَبْصَرَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بَلاَبِلُهْ
بلَا وَبأَنْ لَا أَسْتَطِيعُ وَبِالْمُنَى	وَبِالأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ آمِلُهْ
وَبِالنَّظْرَةِ العَجْلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْفَضِي	أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهْ

ولعل التواطؤ والاشتراك بين الشعراء العذريين مردُّه التجربة الوجدانية الموحَّدة، لأن الروح لما تصفو تتكلم بلغة واحدة.

* لكثرة ما رويت الأخبار عن هؤلاء العشاق، حتى أضحى كثير منها لا تمت للواقع بصلة، فهي أقرب للأساطير، وهذا يرجع لتناقضها ومخالفتها للعقل، ولعل كل أخبار العشاق العذريين تشترك في أن الواحد منهم يحبُّ فتاة فيشبب بها، فيخطبها من أهلها فيرفضون ذلك مخافة ألسنة الناس، إذ إن العرب إذا قيل شعرُ غزلٍ في بناتها، تمتنع عن تزويجها لمن تغزل بها نفيا للريبة، وبعدا عن التهمة، فيزوجونها لغيره، بعدما يستعدون عليه السلطان أو صاحب الأمر، يطلبه، فيفرُّ منه بعدما أُهدر دمه، فيبقى هائما على وجهه في الفيافي والصحراء ينشد الأشعار، حتى تأتيه منيِّته .

* تغير المفاهيم والتصورات عند الشاعر العذري، حيث إنَّ الحب عنده أضفى على حياته فلسفة ذاتية، يرى الوجود من منظور خاص، وهم في هذا اقتربوا من فلسفة التصوف من حيث التجرد من قيود المادة والحس [1]، ولهذا لما دعي جميل بن معمر للجهاد في سبيل الله لنيل الأجر، فلسف قضية الجهاد والشهادة، وجعلهما متعلقين بالمرأة، فيقول [2] :

يَقُولُونَ جَاهِدْ يا جَمِيلُ بغَزْوَةٍ،	وَأَيُّ جِهَادٍ غَيرَهُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ،	وَكُلِّ قَتِيلٍ بَينَهُنَّ شَهِيدُ

ومن منظورهم الخاص أيضا، يتجلى موضوع الجمال، وبخاصة جمال محبوباتهم، حيث يروي لنا التاريخ كثيرا من الأخبار، التي تظهر فيها محبوبات شعراء الغزل العذري بصورة جمالية عادية، لكنهن في نظر عشَّاقهم هن الجمال المطلق؛ الذي ليس بعده مزيد، ولهذا قالت عزة صاحبة كثير حين قال لها الحجاج : والله ما أنت كما قال فيك كُثَيِّرٌ، فقالت له : إنه

---

[1] – يقول شوقي ضيف جامعا بين التجربة العذرية والتجربة الصوفية : « ما الحب العذري إلا صوفي خالص، صوفي في ظمئه الذي لا ينتهي إلى رؤية الحبيب ولقائه، وصوفي في تغنيه بعشقه الجامح الذي يملك كل قلبه وكل أهوائه وعواطفه ومشاعره، وصوفي تعييه الحيلة وتعوزه الوسيلة إلى لقاء بالمحبوب، وإنه ليسير في طريق لا نهاية لها ولا سبيل إلى الدنو من غايتها إلا بإسلام الروح، وصوفي في ارتفاعه عن كل صغائر الحياة » الحب العذري عند العرب، مرجع سبق ذكره، ص 23.

[2] – الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص40.

لم يرني بالعين التي رأيتني بها، ولعلَّ هذا الجنوح إلى النفس من طرف الشاعر العذري، يرجع لكونه « يعيش في عالم خاص به، لايرى فيه إلا محبوبه وخياله، وكأنما تضيق في عينه آفاق الكون، فتصبح أفقا محدودا، بل رقعة محدودة يلؤها المحبوب والفكر فيه والتأمل في جماله » [1]

نماذج من شعر الغزل العذري :

لقد كثر الشعراء المتيَّمون في العصر الإسلامي؛ وبخاصة الذين ينسبون لبني عذرة [2]، لكنَّ أشعرهم – على رأي كثير من الدارسين – هو جميل بن معمر (ت82هـ)، من خلال ما قاله في ابنة عمه بثينة؛ الذي نشأ معها فأحبَّها، وأثمر حبُّهما قصة علاقة خالدة، لم يكتب لها أن يتزوج جميل ببثينة، لأنه شبب بها في شعره، فزوجها أهلها لغيره، الأمر الذي جعله يعيش حزنا عميقا « وفجر فيه أعمق المشاعر، وراح يتغنّى بأمله الضائع، ونصب عينيه صورة الحياة التي فقدها، والروح التي خلقت لتعانق روحه » [3] ، وبقي عمره كله يداوي جرحه بجرحه، بقلب منكسر ولوعة نفس محطمة، إلا أن وافته المنية في مصر بعدما أُهدر دمه.

وقد خلف لنا ديوان شعر مبثوث بين كتب الأدب والأخبار، منه ما يصحُّ عنه، ومنه ما لا يصحُّ، ولكن شعره كله يفيض شوقا وحنانا، ويذوب رقة وجمالا، وفيما يأتي نموذج لشعره العذري [4]:

أَلا لَيْتَ رَيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ	وَدَهْراً تَوَلَّى، يَا بُثَيْنَ، يَعُودُ
إِذَا قُلْتُ: مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي،	مِنَ الحُبِّ، قَالَتْ: ثَابِتٌ، وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ: رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ	تَوَلَّتْ وَقَالَتْ: ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ!
وَقُلْتُ لَهَا، بَيْنِي وَبَيْنَكِ، فَاعْلَمِي	مِنَ اللهِ مِيثَاقٌ لَهُ وَعُهُودُ
وَقَدْ كَانَ حُبُّكُمْ طَرِيفاً وَتَالِداً،	وَمَا الحُبُّ إِلاَّ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
وَإِنَّ عُرُوضَ الوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا،	وَإِنْ سَهَّلَتْهُ بِالمُنَى، لَكَؤُودُ
وَيَحْسَبُ نِسْوَانٌ مِنَ الجَهْلِ أَنَّنِي	إِذَا جِئْتُ، إِيَاهُنَّ كُنْتُ أُرِيدُ
فَأَقْسِمُ طَرْفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي	وَفِي الصَّدْرِ بَوْنٌ بَيْنَهُنَّ بَعِيدُ
وَقَدْ كَانَ حُبُّكُمْ طَرِيفاً وَتَالِداً،	وَمَا الحُبُّ إِلاَّ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً	بِوَادِي القُرَى ؟ إِنِّي إِذَنْ لَسَعِيدُ!
وَمَنْ يُعْطَ فِي الدُّنْيَا قَرِيناً كَمِثْلِهَا،	فَذَلِكَ فِي عَيْشِ الحَيَاةِ رَشِيدُ

[1]– شوقي ضيف، الحب العذري عند العرب، مرجع سبق ذكره، ص16– 17.

[2]– بنو عذرة هي « قبائل قضاعة الكثيرة التي كانت تنتشر في شمالي الحجاز، وتمتد عشائرها وبطونها من المدينة إلى الشام، وكاموا يسكنون وادي القرى، وهو واد طويل بين تيماء وخيبر فيه قرى منثورة، وفيه زروع ونخيل » شوقي ضيف، الحب العذري عند العرب، مرجع سبق ذكره، ص 19.

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1986، ص420.

[4] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 38– 41.

يُمُوتُ الْهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيتُهَا،	وَيَحْيَا، إِذَا فَارَقْتُهَا، فَيَعُودُ
وَأَحْسَنُ أَيَّامِي، وَأَبْهَجُ عِيشَتِي،	إِذَا هِيجَ بِي يَوْماً وَهُنَّ قُعُودُ
عَلِقْتُ الهَوَى مِنْهَا وَلِيداً، فَلَمْ يَزَلْ	إِلَى اليَوْمِ يُنْمِي حُبَّهُ وَيَزِيدُ
فَمَا ذُكِرَ الخِلاَّنُ إِلاَّ ذَكَرْتُهَا،	وَلَا البُخْلُ إِلاَّ قُلْتُ سَوْفَ تَجُودُ

ويقول فيها كذلك [1] :

أَرَى كُلَّ مَعْشُوقَينِ، غَيْرِي وَغَيْرَهَا،	يَلَذَّانِ فِي الدُّنْيَا وَيَغْتَبِطَانِ
وَأَمْشِي، وَتَمْشِي فِي البِلَادِ، كَأَنَّنَا	أَسِيرَانِ، لِلْأَعْدَاءِ، مُرتَهَنَانِ
أُصَلِّي، فَأَبْكِي فِي الصَّلَاةِ لِذِكْرِهَا،	لِيَ الوَيْلُ مِمَّا يَكْتُبُ المَلَكَانِ
ضَمِنْتُ لَهَا أَنْ لَا أَهِيمَ بِغَيْرِهَا،	وَقَدْ وَثِقَتْ مِنِّي بِغَيْرِ ضَمَانِ
أَلَا، يَا عِبَادَ اللهِ، قُومُوا لِتَسْمَعُوا	خُصُومَةَ مَعْشُوقِينِ يَخْتَصِمَانِ
يَعِيشَانِ فِي الدُّنْيَا غَرِيبَينِ، أَيْنَمَا	أَقَامَا، وَفِي الأَعْوَامِ يَلْتَقِيَانِ

مقتطفات عذرية :

يقول مجنون ليلى (قيس بن الملوح) [2]:

كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى	بِلَيْلَى العَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ غَرَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ	تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلَقَ الجَنَاحُ
لَهَا فَرْخَانِ قَدْ تُرِكَا بِقَفْرٍ	فَعُشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيَاحُ
فَلَا فِي اللَّيلِ نَامَتْ فَاطْمَأَنَّتْ	وَلَا فِي الصُّبحِ كَانَ لَهَا بَرَاحُ

ويقول عروة بن حزام في عفراء [3]:

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ	وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
كَأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحَهَا	عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ
لَوْ أَنَّ طَبِيبَ الإِنْسِ وَالجِنِّ دَاوَيَا	الذِي بِيَ مِنْ عَفْرَاءَ مَا شَفَيَانِي
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلِساً نَسْتَلِذُّهُ	تَوَاشَوا بِنَا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِي

[1] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 129.

[2] – الديوان، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1999، ص 113- 114.

[3] – أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، الحماسة المغربية،ج02، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط01، 1991، ص 933.

تَكَنَّفُنِي الوَاشُونَ مِنْ كلِّ جانبٍ	وَلَوْ كَانَ واشٍ وَاحد لَكَفَانِي
وَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِاليَمَامَةِ دَارُهُ	وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمُوتٍ أَتَانِي

مفهوم الغزل العمري (الماجن) :

إذا كان الحب في الشعر الماجن هو « التطلع إلى الجمال، والتتبع له، والإقبال عليه بكل ما يملك الإنسان من قوى، وهذا الإقبال الكلي الذي يستبدُّ بجميع القوى » [1] فإن الغزل الحسي الذي يصف الملامح الجسدية للمرأة، وهو تصوير هذا الحب، الذي حقيقته الإعجاب المؤقت بالجمال حتى يقضي الشاعر منه وطرًا، فينقلب إلى البحث عن حب جديد، وقد يجعل الشاعر الحسي في صحبة من يتغزل بها نسوة يشهدن اللقاء، ويُعجبن به، كما يرسل الوسطاء، ويتفنن في ضروب الحيل ليحقق في نهاية المطاف صلته بمن يُحب، والشاعر هنا لا يُجهد نفسه بوصف تباريح الحب، ولكنه يهتم بوصف نجاح مغامراته ولياليه الواصلة وتحقيق مطالب جسده وإشباع غريزته، من خلال المعطيات السابقة نرى أن الغزل العمري قد تبدّى فنًّا قائمًا بذاته في العصر الأموي لأسباب سياسية واجتماعية وفكرية وحضارية واقتصادية خاصة بذلك العصر، وقد هيأ الازدهار لهذا النوع من الغزل حياة الترف الذي تمتعت به الدولة الأموية، حين أغدقوا الأموال الكثيرة والأرزاق الواسعة على الحجازيين، فالتهوا بها عن المطالبة بالخلافة، ومنازعته الحكم، زد على ذلك الهدوء والاستقرار الأمني، الذي كانت تعيشه الحجاز.

ومن أشهر شعراء هذا الفن في العصر الأموي عمر بن أبي ربيعة والعرجي القرشيان، والأحوص بن محمد الأنصاري وغيرهم.

الخصائص الفنية للغزل العمري :

1/ أساسه حب ممتزج بميول شهوانية وعواطف خالية من التحرُّج، وأوصاف مكشوفة، يدفع إليها الشوق إلى الاستمتاع بالمرأة.

2/ التعدد في الحب : فأصحاب هذا المذهب لاطاقة لهم بالصبر على محبوبة واحدة؛ لأنهم يرون أن الحب المفرد قَيْدٌ يحدُّ من انطلاقهم وحريتهم، وذلك تخففًا من قيود الحب الواحد وما يُلقي عليهم من تبعة لا تقبلها طبيعتهم ولا يرضاها سلوكهم، فحبهم قائم على الآنيَّة والتجدُّد، وأنفسهم قادرة على تغيير الحال والانتقال بعواطفهم إلى حيث شاءوا من مواقع الجمال فيتحول الحب عندهم إلى ضرب من المغامرة، ولهذا قال عمر بن أبي ربيعة :

سَلامٌ عَلَيْهَا مَا أَحَبَّتْ سَلَامَنَا	فَإِنْ كَرِهَتْهُ سَلَامٌ عَلَى أُخْرَى

وقول بعضهم :

فَإِنْ تَصِلِي أَصِلْكِ وإنْ تَعَودِي	لِهَجْرٍ بَعْدَ وَصْلِكِ لا أُبَالِي

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، مرجع سبق ذكره، ص 448.

وبهذا يصبح موقف الشاعر الغزلي الماجن من الجمال، أنه متعلق به أيًّا كان حامله، بخلاف العذري؛ الذي يتعلق بالشخص الواحد، بوصفه موطن الجمال، أي أن الأول الجمال عنده واحد لكنه يتعدد في الأشخاص، والثاني الجمال عنده واحد، يتصف به واحد لا غير.

3/ عدم التحرُّج : لا يتحرج الشاعر الحسي من إعلان اللذة وطلب المتعة المتجددة والاستمتاع بالمرأة، وقد يجاهر بشيء من الفحش.

4/ شيوع الحوار القصصي : وهذ اللون يُكْسِب شعرهم طرافة وجمالاً، ويخلق جوًا من المرح.

5/ التصلب العاطفي : فلا يحفل هذا الفن بالجاذبية الروحية التي يجدها العاشق في المرأة، بقدر احتفاله بأوصافها الجسدية وأنها مخلوقة للاستمتاع، وقد برع الغزل الحسي في الوصف براعة جعلته يتناول كل عضو من جسد المرأة ويصور مكامن الجمال فيه ولذة النظر إليه، فالحب عندهم ليس عناءً يذيب النفس، ولكنه متعة جسدية، لا يشكو الشاعر معها الحرمان ولا يذوق مرارة الهجر، بمعنى آخر أنه قصر همه على وصف الجانب المادي من المرأة، دون جوانبها العاطفية والروحية.

6/ هجر الألفاظ الغريبة والوحشية، وتأسيس لغة جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة، بما فيها من ترف ومجون وابتذال، فقد جاءت عذبة سلسة لينة .

7/ غياب المقدمات الطللية، استجابة للحياة الحضرية، وتمثيلا لها وتعبيرا عنها، ومن ناحية ثانية، أنَّ الشعر الماجن، يتجه إلى صوب جسد المرأة مباشرة يصوره ويصفه، فلا حاجة له للمقدمات التي تمهد له الطريق.

8/ وحدة الموضوع : القصيدة عند الغزليين الحسِّيين ذات موضوع واحد، فلا ينتقل الشاعر من غرض إلى آخر، كما كان منهج الشاعر في القصيدة العربية من قبل، فكانت المرأة والتغزل بها هو المبتدأ والمنتهى، ولهذا قال عمر بن أبي ربيعة لسليمان بن عبد الملك إنه لا يمدح الرجال ولكنه يمدح النساء.

9/ المرأة في شعر الغزل الماجن غير متمنَّعة –كما في الشعر العذري – فهي سهلة الانقياد، موافقة تبادل الرجل الحب، وتكشف عن رغبة في اللقاء والتطلع إليه، ولكن مع هذا يظهر منها ضروبٌ من الدلال، وهي مع هذا متحضرة مترفة « تتحدث وفي حديثها ألف لون من ألوان الغنج والدلال، وتنظر وفي نظرتها أهل همسة وألف غمزة، وتمشي وفي مشيتها ألف معنى من معاني الإيحاء الجمالي والتأثير الحسي، وتدَّهن بالأطياب، وفي أطيابها ألف رسالة إلى القلب من وراء الشم » [1]

ملاحظات :

* الغزل الماجن هو وليد الحضارة التي انتقل إليها العرب، فموضوع الغزل إذن هو المرأة العربية المتحضرة، ولهذا من غير المعقول أن يظهر شعر ماجن يشكل مدرسة كاملة في العصر الجاهلي، لأن المرأة إذ ذاك كانت بدوية، ليست مهيأة كي يصفها الشعراء، ويصف أحوالهم معها.

* كثير من شعر الغزل الماجن إنما أنشئ، حتى يُغنَّى، ويُفهم ويُتداول، خاصة وأن الحجاز (مكة والمدينة)، كانت تعجان

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، مرجع سبق ذكره، ص 449.

بالقيان والمغنين نساء ورجالا، الذين كانوا يطلبون الشعر من أمثال عمر بن أبي ربيعة والعرجي والأحوص، ويلحون في طلبه، من أجل تلحينه، ويؤكد هذا الأمر، أن جل شعر ابن أبي ربيعة هو مقطوعات (الأصلح للغناء)، إلا مطولات قليلة، وهي قيلت على أوزان خفيفة ملائمة للغناء كالسريع والخفيف والوافر والرمل والمتقارب.

* ترجع أهمية الغزل الماجن، والذي منطلقه القوة الشهوانية –كما يرى الفلاسفة – أنه مدعاة لحفظ النوع البشري، إذ لولاه، لانقطع النسل كلية.

نماذج من شعر الغزل العمري :

إذا تكلمنا عن الشعر العذري، فإنه لا يمكن أن نغفل عمر بن أبي ربيعة [1] كأهم شعراء هذا النوع من الغزل، ولعل أهميته ترجع إضافة لكونه « استطاع أن يمثل العصر الذي كان يعيش فيه، والبيئة التي كان يحيا فيها، فشعره يصور الحياة الحضرية في الحجاز على حقيقتها » [2] زيادة على هذا أنه كان صادقا في عشقه للجمال ((على حدِّ قوله : موكل بالجمال يتبعه)) ، لا يقنع منه بالقليل، مولعا بالنساء الحسان، أنه أول شاعر تخصص في نظم الغزل دون غيره من الأغراض الأخرى، وأنه نظم فيه القصائد الطوال؛ الممتلئة تغنيًّا بجمال المرأة في قالب قصصي / حواري، وأنه « أول شاعر أجاد تصوير عواطف المرأة، واختلاجات نفسها، واختلاف حركاتها » [3]، بل إنه – لما يتمتع به من جاه وشباب ووسامة وقبول عند النساء – يجعل المرآة هي من تطلبه، لا هو من يطلبها كما في الغزل العذري، بل إنه في كثير من الأحيان يترك التشبيب بالنساء، ليشبب بنفسه لما يرى فيها من المحاسن والمزايا، وقد عاب عليه ابن أبي عتيق قوله في أبيات له [4]:

بَيْنَمَا يَذْكُرْنَنِي أبصَرْنَنِي	دُونَ قِيدِ المِيَلِ يَعْدُو بِي الأَغَرّْ
قَالتْ الكُبْرَى: أَتَعْرِفْنَ الفَتَى؟	قَالت الوُسْطَى: نَعَمْ، هَذَا عُمَرْ
قَالَتِ الصُّغْرَى وَقَدْ تَيَّمْتُهَا:	قَدْ عَرَفْنَاه، وَهَلْ يَخْفَى القَمَرْ!؟

« أنت لم تنسب بهن، وإنما نسبت بنفسك، وإنما كان ينبغي لك أن تقول: قالت لي فقلت لها، فوضعت خدي فوطئت عليه » [5]، ولعل هذا ما جعل شوقي ضيف وغيره لا يتورَّعون بالقول إن عمر بن أبي ربيعة « به جانب من انعكاس العاطفة وشذوذها »[6]، حيث تحول من كونه عاشقا لكونه معشوقا، ولعل هذا الانقلاب العاطفي مردُّه زيادة على ما ذكرنا من جماله وشبابه وعزه وشرفه، أن أمه كانت في صغره تجالسه مع النساء، فاكتسب معرفة لا تضاهى بالنساء

---

[1] – يُنظر لمن أراد الاستزادة : عباس محمود العقاد شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، نصر، مصر، 2012، كتاب شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط08، 1987، ص 219 – 243.

[2] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 388.

[3] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 303.

[4] – محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة، مصر، ط01، 1952، ص 143.

[5] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج02، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط05، 1981، ص 124.

[6] – التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 229.

ونفسيتهن وأحاسيسهن، أيضا ما كان له معهن من مجالسات مستمرة في مكة مع الغريض المغني ومع سكينة بنت الحسين وغيرهما، ولعله معذور في هذا كله إذ كانت النساء – مع كل ما سبق – هو الشغل الشاغل لربات الجمال والدلال، يأتين الحج، رغبة فيه، فيروين أخباره، ويتناقلن أحاديثه، ويتدارسن شعره، بل ويطاردنه ليفسدن عليه طوافه، هو يهرب منهن، وهن في أثره.

وإذا أردنا أن نمثل لشعر الغزل الماجن عند الرجل فلابد من استحضار رائيته الشهيرة؛ التي بها اعترف له جرير بالشاعرية، والتي يقول فيها [1]:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غادٍ فَمُبْكِرُ	غَدَاةَ غدٍ أَوْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ فِي جَوَابِهَا	فَتَبْلُغَ عُذْراً، والمقالةُ تَعْذِرُ
أَهِيمُ إِلى نُعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ	وَلَا الحَبْلُ مَوْصُولٌ وَلَا القَلْبُ مُقْصِرُ
وَلَا قُرْبُ نُعْمٍ إِنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ	وَلَا نَأْيُهَا يُسْلِي وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
إِذَا زُرْتُ نُعْماً لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ	لَهَا كُلَّمَا لَاقَيْتُهَا يَتَنَمَّرُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَلِمَّ بِبَيْتِهَا	مُسِرٌّ لِيَ الشَّحْنَاءَ لِلْبُغْضِ مُظْهِرُ
وَلَيْلَةَ ذِي دَوْرَانَ جَشَّمَنِي السُّرَى	وَقَدْ يَجْشُمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ
فَبِتُّ رَقِيباً لِلرِّفَاقِ عَلَى شَفَاً،	أُحَاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ، وَأَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ مَتَى يَسْتَمْكِنُ النَّوْمُ مِنْهُمُ	وَلِي مَجْلِسٌ لَوْلَا اللُّبَانَةُ أَوْعَرُ
وَبِتُّ أُنَاجِي النَّفْسَ: «أَيْنَ خِبَاؤُها؟	وَكَيْفَ لِمَا آتِي مِنَ الأَمْرِ مَصْدَرُ؟»
فَدَلَّ عَلَيْهَا القَلْبُ رَيَّا عَرَفْتُهَا	لَهَا وَهَوَى النَّفْسِ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ
فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ	مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ
وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ،	وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ، وَنَوَّمَ سُمَّرُ
وَنَفَّضْتُ عَنِّي النَّوْمَ، أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الْـ	حُبَابِ، وَرُكْنِي، خَشْيَةَ القَوْمِ، أَزْوَرُ
فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأْتُهَا، فَتَوَلَّهَتْ،	وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ
وَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِالبَنَانِ: «فَضَحْتَنِي	وَأَنْتَ امْرُؤٌ، مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ!"
"فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ ،	سَرَتْ بِكَ، أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ؟»
فَقُلْتُ لَهَا: "بَلْ قَادَنِي الشَّوْقُ وَالهَوَى	إِلَيكِ، وَمَا عَيْنٌ مِنَ النَّاسِ تَنْظُرُ»
فَبِتُّ قَرِيرَ العَيْنِ، أُعْطِيتُ حَاجَتِي،	أُقَبِّلُ فَاهَا، فِي الخَلَاءِ، فَأُكْثِرُ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ،	وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهًى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ	لَنَا، لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُكَدِّرُ
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقَلَّهُ،	وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ

[1] – الديوان، مصدر سبق ذكره، ص 84– 93.

أَشَارَتْ "بِأَنَّ الحيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمُ	هُبُوبٌ، وَلَكِنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزْوَرُ"
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبَّه مِنْهُمُ	وَأَيْقَاظُهُمْ، قَالتْ: "أَشِرْ كَيْفَ تَأْمُرُ؟"
فَقُلْتُ: «أُبَادِيهِمْ فَإِمَّا أَفُوتُهُمْ	وَإِمّا ينالُ السَّيْفُ ثَأْراً فَيَثْأَرُ»
فَقَالَتْ: «أَتَحْقِيقاً لِما قَال كَاشِحٌ	عَلَيْنَا، وَتَصْدِيقاً لِمَا كَانَ يُؤْثَرُ؟"
"فَإِنْ كَانَ مَا لَابُدَّ مِنْهُ، فَغَيْرُه،	مِنَ الأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتَرُ»
«أَقُصُّ عَلَى أُخْتَيَّ بَدْءَ حَدِيثِنا	وَمَا لِيَ مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ»
فَقَامَتْ كَئِيباً لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ،	مِنَ الحُزْنِ، تُذْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ
فَقَامَتْ إِلَيهَا حُرَّتَانِ عَلَيْهِمَا	كِسَاءَانِ مِنْ خَزٍّ دِمَقْسٌ وَأَخْضَرُ
فَقَالَتْ لأُخْتَيْهَا: "أَعِينَا عَلَى فَتَىً ،	أَتَى زَائِراً والأَمْرُ لِلأَمْرِ يُقْدَرُ»
فَأَقْبَلَتَا فارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا:	« أَقِلِّي عَلَيْكِ اللَّوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ»
فَقَالَتْ لَهَا الصُّغْرَى : "سَأُعْطِيهِ مُطْرِفِي	وَدِرْعِي وَهَذَا البُرْدَ إِنْ كَانَ يَحْذَرُ»
«يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّراً	فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يَظْهَرُ"
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ قُلْنَ لِي:	« أَلَمْ تَتَّقِ الأَعْدَاءَ واللَّيْلُ مُقْمِرُ؟»
وَقُلْنَ: «أَهَذا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سادِراً	أَمَا تَسْتَحِي أَمْ تَرْعَوِي أَمْ تُفَكِّرُ؟"
"إذا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا،	لِكَيْ يَحْسِبوا أَنَّ الهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ»

مقتطفات من الشعر الحسي :

يقول عمر بن أبي ربيعة [1] :

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ، وَلَا تَكُنْ	عَلَيْكَ شَجَاً فِي الحَلْقِ، حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هَيَ أَعْطَتْكَ اللِّيَانَ، فَإِنَّهَا	لِآخَرَ مِنْ خِلَّانِهَا سَتَلِينُ
وَإِنْ أَقْسَمَتْ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا	فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينُ

يقول الأحوص الأنصاري [2] :

خَلِيلَانِ بَاحَا بالهَوَى فَتَشَاحَنَتْ	أَقَارِبُهَا فِي وَصْلِهَا وَأَقَارِبُهْ
أَلَا إِنَّ أَهْوَى النَّاسِ قُرْباً وَرُؤْيَةً	وَرِيحاً إِذَا مَا اللَّيْلُ غَارَتْ كَوَاكِبُهْ
ضَجِيعٌ دَنَا مِنِّي جَذَلْتُ بِقُرْبِه	فَبَاتَ يُمَنِّينِي وَبِتُّ أُعَاتِبُهْ
وَأُخْبِرُهُ فِي السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	بِأَنْ لَيْسَ شَيءٌ عِنْدَ نَفْسِي يُقَارِبُهْ

[1] – محمد بن قتيبة، عيون الأخبار،ج04، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1418هـ ، ص 111.

[2] – الديوان، تح: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1990، ص94.

ويقول العرجي[1]:

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرَّقَهَا	مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا مَسَّهَا السَّحَرُ
لَمْ يَحْجِبِ الصَّوْتَ أَجْرَاسٌ وَلَا حِلَقٌ	فَدَمْعُهَا لِطُرُوقِ الصَّوْتِ مُنْحَدِرُ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ لَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا	أَوَجْهُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ الْقَمَرُ
لَوْ خَلِّيَتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ	تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشْيِ تَنْفَطِرُ

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، لبنان، 1423هـ، ص264.